٨

جامعة طنطا

مستلة من

مجلة كلية الآداب

العدد الرابع عشر يناير ٢٠٠١

مجلة علمية سنوية محكمة

مفهوم البلاغة
عند ابن خلدون
دراسة تحليلية

إعداد
دكتورة
سميرة عدلي رزق
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز جدة

٢٠٠١

ملخص البحث

ركزت الدراسة في هذا البحث على منحى واحد عند ابن خلدون ـ رغم تعدد جوانب الثقافة عنده – هذا المنحى هو الجانب البلاغي عنده بشكل عام ، ثم قضية الأسلوب بشكل خاص ، نظراً لاتفاق الرجل مع معظم علماء البلاغة في تعريفه لها من أمثال القزويني ، الجرجاني ، والقرطاجني ... وغيرهم.

أما في قضية الأسلوب فقد عرض البحث تعريف ابن خلدون للأسلوب العربي، وتأكيده أن البلاغة هي أصل فيه ، ثم أشارت الدراسة إلى ارتباط رأيه ببعض آراء النقاد الآخرين ، لا سيما في قضية اللفظ والمعنى ، تلك القضية التي لم يفته الخوض فيها مع غيره من النقاد القدامى والمحدثين.

كما أوضحت الدراسة مفهوم الطبع والصنعة عنده ومدى اقترابه من آراء النقاد الآخرين من أمثال : قدامة وابن طباطبا وابن رشيق ....وغيرهم وأيد كل ذلك كله ببعض الشواهد التي ذكرها صاحب المقدمة عن الشعر المطبوع . فضلاً عن بيان رأيه وميله إلى الشعر الإسلامي لاحتوائه على بلاغة عالية كان مصدرها التأثر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

واختتم البحث أيضا بمناقشة معظم آراء الرجل وتم التعقيب عليها بما يناسبها أو يلزمها من ردود قد توضح بعض الجوانب الغامضة فيها . أو الاتفاق مع بعضها.

مفهوم البلاغــة
عنــد ابـن خلــدون
دراسة تحليلية

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ،وعلمه ما لم يكن يعلـم – وصلـى الله علـى سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد:

فالصفحات التالية من البحث تتناول المفهوم البلاغي عند ابـن خلـدون مستنتجاً من قراءة أبواب المقدمـة . (مقدمة ابن خلدون) ، ذلك المفهوم الذي اتسم بالوعي الصحيح لعلوم البلاغة الثلاثة تماماً كما عرفـها أصحابـها ، كمـا اتسـم بالفهم الرشيد للبلاغة بصفة عامة وهدفها.

ولعل من أسباب اختيار البحث:-

- الرغبة في تنويع مجال الأبحاث التي أقوم بها فقد سبق بعون الله وتوفيقه إنجاز خمسة منها متتالية في مجال الدراسات البيانية في القرآن الكريـم حظيت بالنشر في مجلات محكمة مختلفة.
- كذا الرغبة في إعداد بحث يجمع بين طرفي البلاغة والنقد في آن واحـد لتآزرهما وارتباطهما الدائمين.

أضف إلى ذلك غزارة هذا الجانب في (المقدمة) والذي لم يحظ باهتمام الباحثين وإفراده بدراسة خاصة ، هذا إلى جانب الإعجاب الحقيقي بما جاء فيها من نقاط بلاغية تستحق الدراسة وتدل على غزارة مفهوم الرجل في هـذا الجانب ، فضلاً عن الوضوح والسلاسة اللذين اتسم بهما أسلوب الكاتب وسط عصر ضاق ذرعاً بما شاع فيه من صنعة وأغلال بديعية سيئة ألقت بظلالها على معظم المؤلفات في تلك الفترة.

هذا وقد ركَّزت الدراسة على مفهوم البلاغة عند من هذا الرجـل ،والذي بدا لنا خلال مناقشة النقاط التالية لديه:-

من أن يكون على اتصال وثيق بفنون الأدب والنقد والبلاغة وغيرها .

على أن هذه الدراسة تريد أن تعرض منحى واحداً عنده يرتكز على المادة البلاغية بشكل عام، وعلى قضية الأسلوب بشكل خاص، وهي قضية لم تنل إلا قدراً ضئيلا من الاهتمام لأمر من العسير تحديده .

توطئة :

وتأتي رؤية ابن خلدون للأسلوب من أنه هو نفسه كان صاحب قلم متميز، استوعب خصائص الأساليب العربية الراقية في بعدها عن التكلف، وحرصها على الوضوح والدقّة، ومن هنا نفهم قول غاستون بوتول: " أن من الخطأ ألا نعتبر ابن خلدون نموذجاً لجمال الأسلوب وفق المعنى الذي يطلق على الكلمة في الشرق ": وابن خلدون يكتب بلغة مستقيمة دقيقة قريبة من لغة التكلم خالية من التكلف والدقائق النحوية والتحذلق، ولا تصادف عنده، مطلقا تلك البلاغة التافهة التي استحوذت على القرون القادمة، ولكن ما كان من اعتدال في أسلوبه غالباً إنما ما أضيف إلى قروة ذهنه بلغ درجة من العظمة حقيقية شامخة "[٣]

تلك هو رأي أي رجل غريب على اللغة العربية وقد كان رأياً منصفاً حقاً ... فكيف من يحكم اللغة العربية ويجيدها ؟.

يقول علي عبد الواحد وافي عنه :

"يعد ابن خلدون من كبار أئمة الأدب وأعلام البيان العربي، ومن أبرز المجدّدين في أسلوب الكتابة العربية . فقد سلك في كتابة الرسائل العادية والحكومية، منذ أن تولى وظيفة كاتب السر والإنشاء لأبي سالم بن أبي الحسن سلطان المغرب الأقصى وفي تدوين المؤلفات، أسلوباً جديداً يمتاز بالسهولة والوضوح والتعبير الدقيق عن الحقائق،وقوة التدليل وترابط الفكرة وحسن الأداء والتناسق، وتميز المفردات والتراكيب العربية السليمة، والتخلص من قيود السجع ومحسنات البديع التي كان النثر العربي مكبلا بها في هذا العهد"[٤].

استدرك بها حازم هي الاستعداد الفطري أو الموهبة التي تتمثل عند بعض الموهوبين من العلماء كالإمام الشافعي مثلاً[10].

هذا وقد ذكر ابن خلدون مثالا يدلل به على صحة ما ذهب إليه وهو أن نوع المحفوظ من الشعر هو الذي يحدّد طريقة شعر الشاعر والتي بها يعرف فقال:

"أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال: ذاكرت يوماً صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن، وكان المقدم في البصر باللسان لعهده، فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم أنسبها له وهو هذا:

> **لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها والبالي**

فقال لي على البديهة هذا شعر فقيه، فقلت له ومن أين لك ذلك؟ قال: من قوله "ما الفرق؟ إذ هي من عبارات الفقهاء، وليست من أساليب كلام العرب فقلت له: لله أبوك أنه ابن النحوي[11].

ثم يعلق ابن خلدون على هذه القصة مؤكداً أن الأدباء والشعراء لا يكون أسلوبهم كذلك لأنهم يتخيرون لمحفوظهم أجود الأقوال وأبلغها[12].

وسر الكلام وروحه عند هذا الرجل في إفادة المعنى، وبكمال هذه الإفادة تكون البلاغة[13] يقول: " اعلم أن الكلام الذي هو العبارة والخطاب إنما سره وروحه في إفادة المعنى، وأما إذا كان مهملاً فهو كالموات الذي لا عبرة به وكمال الإفادة هو البلاغة على ما عرفت من حدها عند أهل البيان، لأنهم يقولون هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال[14].

أما فن البلاغة فيدرك أو يعرف بمعرفة الشروط والأحكام التي بها تطابق التراكيب اللفظية مقتضى الحال[15] وقد علمت هذه الأحكام وتلك الشروط باستقراء لغة العرب فصارت كالقوانين.

على الإيضاح الذى اتسمت به شخصيته في معظم ما كتب فيقول:

"فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول كقوله:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند[٣٨].

ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقوله:

(قفا نسأل الدار التي خف أهلها) [٣٩].

وهكذا يمضى ابن خلدون في ذكر الطرق التي لاحظ اتباع الشعراء لها في فنون الشعر المختلفة – كالرثاء وغيره حيث يقول بعد ذلك.

"وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه"[٤٠].

ثم يؤكد ابن خلدون على أن معرفة قواعد النحو العربي والأساليب البلاغية المختلفة لا يكفي لأن يكتب العالم بها شعراً لأن للشعر طرقه الخاصة به والتي لا يعلمها إلا من تمرس بأساليبه وحفظ الكثير منه وذلك لأن قواعد النحو وأساليب البيان العربي إنما هي قياسية وليس كل ما هو قياسي مستعملاً في الشعر أو النثر على حد سواء بل المستعمل منه لا يعلمه إلا من أخذ نفسه بحفظ الكثير من أقوالهم شعراً ونثراً[٤١].

فها هو ذا يقول في ذلك :

"فإذا نُظر في شعر العرب على هذا النحو، وبهذه الأساليب الذهنية ، التي تصير كالقوالب ، كان نظراً في المستعمل من تراكيبهم ، لا فيما يقتضيه القياس ، ولهذا قلنا إن المحصل لهذه القوالب في الذهن ، إنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم ، وهذه القوالب كما تكون في المنظوم تكون في المنثور فإن العرب استعملوا كلامهم في كلا الفنين وجاءوا به مفصلا في النوعين"[٤٢].

وليس معنى ذلك أن ابن خلدون يغفل أهمية الدراية بعلم النحو وعلم البيان لقائل الشعر أو أنه يغفل مراعاته لهذه القوانين وتلك القواعد بل يؤكد أنها شرط أساسي ينبغي توفره فيهما فيقول :

"فالأسلوب هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية ، والنظم هيأة تحصل عن التأليفات اللفظية" (٣٧).

ولعل حازماً قصد بذلك نفس ما ذكره ابن خلدون من أن الشاعر إذا أراد الحديث عن غرض من الأغراض فإن له طريقة خاصة ، هذه الطريقة هي أن يسلك سبيلاً مألوفاً في معانيه التي تعلمها من أشعار العرب وطريقتهم فعندما يريد الشاعر فن النسيب فإنه يحتاج إلى الانتقال من معنى حتى يصل إلى ما يريد وهكذا في بقية الأغراض(٣٨).

أما عن معنى الأسلوب لدى بعض نقاد العصر الحديث ومدى اقتراب هذا المعنى من مفهوم ابن خلدون السابق أو ابتعاده عنه ، فذلك ما يلمح مثلاً بعد قراءة هذه العبارة للزيات:-

"ما هو الأسلوب ؟ هو طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام.

وهذه الطريقة فضلاً عن اختلافها في الكتاب والشعراء تختلف في الكاتب او الشاعر نفسه باختلاف الفن الذى يعالجه أو الموضوع الذى يكتبه ،والشخص الذى يتكلم بلسانه أو يتكلم عنه ، ولكن الأساليب مهما اختلفت باختلاف الأفراد وتنوعت بتنوع الأغراض فإنها تتسم بسمات واحدة هي عبقرية الأمة ، ومنطق ذلك أن الصفات المشتركة في آحاد الأمة تتلاقى وتتجمع فتكون خصائصها التي تميزها عن سواها ، وهذه الخصائص نفسها تنطبع في لغتها فتكون طرازاً عاماً في كل أسلوب.

وعلى قدر ما تكون هذه الخصائص في الأمة تكون قابلية الأساليب فيها للاختلاف"(٣٩).

وإذا عدنا إلى النص السابق أدركنا ذلك الفرق الواضح بين ما قصده ابن خلدون في حديثه عن الأسلوب وبين ما قاله الزيات فإن ما أراده الزيات هو نفس ما أراده حازم القرطاجني نفسه في تعريفه للنظم.ما أراده ابن خلدون من الأسلوب هو ما ذكره

معنى الأسلوب الطريقة أو النهج أو القالب الذى يصب فيه الشاعر تلك الألفاظ لإنشاء قصيدته ويلمح في هذا المفهوم المعنى العام الذى ذكره الدكتور شوقى ضيف عن الأسلوب القصصي الذى يعرفه بقوله:

"لكلمة الأسلوب القصصي معنيان ، معنى عام يشمل بناء القصة كله بجميع مواده وعناصره ، ومعنى خاص يقف عند التعبير ووسائله اللغوية وخصائصه اللفظية"(٣١).

وقد أراد ابن خلدون من الأسلوب طريقة بناء القصيدة ، أى على النحو الذى ذكره د. شوقي ضيف الذى يصرح هو نفسه به في قوله:-

"وكأنما العصر الجاهلي نفسه هو الذى أعد القصيدة التقليدية عند العرب قصيدة المدح والهجاء فإن الشعراء كانوا يحرصون في كثير من مطولاتهم منذ العصر الجاهلي على أسلوب موروث فيها ، إذ إنها تبتدئ عادة بوصف الأطلال وبكاء الدمن ثم تنتقل إلى وصف رحلات الشعر في الصحراء ، وحينئذ يصف ناقته التي تملأ حسه ونفسه وصفاً دقيقاً فيه حذق ومهارة ، ثم يخرج من ذلك إلى الموضوع المعين من مدح أو هجاء أو غيرهما ، واستقرت تلك "الطريقة التقليدية" في الشعر العربي ، وثبتت أصولها في مطولاته على مر العصور"(٣٢).

وهذا المعنى عينه هو الذى قصده ابن خلدون في تعريفه للأسلوب عند الشعراء.

ب- كيف يتم اكتساب الأسلوب العربي السليم في رأيه:

إن اكتساب الأسلوب العربي السليم لا يكون إلا بحفظ كلام العرب شعراً ونثراً حتى يستقر في الذهن قالب كلي مطلق من المستعمل في كلامهم – لأن المستعمل عندهم هو الذى يبني عليه مؤلف الكلام تأليفه – ثم يكون هذا القالب مثالاً يُحتذى حذوه في تأليفه لقصيدته أو لقطعته النثرية (٣٣).وهذا ما يبدو عند نقاد سابقين لابن خلدون ، فابن رشيق يقول:

حد تعبيره(٢١).

وتصادف هذا الرأى نفسه لدى ابن حجة الحموى(٢٢) الذى يرى الموهبة شيئاً أساسياً فى صناعة الشعر ويرفد هذه الموهبة الدُّربة والمِراس بدوام قراءة الأدب مع حفظ الشعر لتكوين الملكة الأدبية(٢٣).

ولا ينكر هذا الرأى أى ناقد أو أديب ، ولعلّنا نصادف مثل هذا الرأي عند الأستاذ أحمد أمين في قوله:

"وهذا النظم يحتاج إلى مران وتربية ، فليس الأديب كالبلبل أو الحمام يغنى لنفسه إنّما هو يغنى للناس وَيَنقل إليهم حالة من فكر وشعور ، فيجب أن يتعلم كيف ينظم الكلام نظماً جيداً لينقل إليهم بدقّة ما يفكّر فيه ويشعر به ولا يكون ذلك إلا بتمود العناية بتلك المعايير ، ومن الحق أن نقّرر أن هناك استعداداً طبيعياً للنبوغ في الأسلوب ولكن هذا الاستعداد مهما قوى لابد له من مِران بل المران الكثير مع التوسُّط في الاستعداد خير من نبوغ لا مران معه" (٢٤).

وهذا يدل على اتفاق ابن خلدون مع كل من قال بهذا الرأى الذى لا ينكره صدقة ناقد أو متذوّق للأساليب العربية المختلفة سواء منها الشعرية أو النثرية .

جـ- تفسيره للذوق :

لا ينكر ابن خلدون أن لفظة الذّوق تستعمل أصلاً لإدراك الطعوم ولكن لما كان محل هذه الملكة فى اللسان من حيث هو موضع للنطق ذكر ابن خلدون أنه استعملت لهذه الملكة اللسانية لفظة الذوق بقوله :

"ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان"(٢٥). ثم يشرح ابن خلدون كيفية تكون هذه الملكة فيرى أن ذلك لا يكون إلا عن طريق تحرّي التراكيب المحتوية على خواص معيّنة ليطابق بها الكلام مقتضى الحال ويساعد اللسان على حصول هذه الملكة فى نظم الكلام مطابقاً لمقتضى الحال - مخالطة العرب هذه المخالطة التى تعينه على وضع التراكيب الصحيحة البليغة كما يمكنه بحصول هذه الملكة ، تمييز غير البليغ منها

وابن خلدون يتفق في هذا الرأي مع معظم نقّاد العرب الذين سبقت الإشارة إلى رأيهم في مجال الأسلوب كابن رشيق والقاضي الجرجاني وابن الأثير وغيرهم[39].

ولا يكتفي ابن خلدون أن يتفق في هذا الرأي مع معظم نقّاد العرب الذين سبقت الإشارة إلى رأيهم في مجال الأسلوب كابن رشيق والقاضي الجرجاني وابن الأثير وغيرهم[40].

ولا يكتفي ابن خلدون ليثبت ما قاله بذلك المثال بل يفترض أن شخصاً أعجمياً في زمانه أو بعده حاول مخالطة العرب ليكتسب هذه الملكة وتلك البلاغة بالمعاشرة فيرى أن النتيجة لن تكون كما كانت لدى سيبويه ورفاقه لأن العجمة قد سبقت إلى لسان ذلك الشخص فيصعب أن يحل محلّها شيء آخر فضلاً عن أن اللغة العربية في الأمصار لم تعد في صفائها الأول وتمكّنها الأصيل لما خالطها من الألسنة الحضارية الأخرى أو حتى لو حاول هذا الأعجمي تعلم اللغة وإتقان بلاغتها عن طريق الدارسة والحفظ فلن يتمكّن من هذه الملكة الصحيحة التمكن الجيّد إلا نادراً وها هو ذا يقول:

"واليوم الواحد من العجم إذا خالط أهل اللسان العربي بالأمصار ، فأول ما يجد تلك الملكة المقصودة من اللسان العربي ممتحية الآثار ، ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة أخرى مخالفة للسان العربي ، ثم إذا فرضنا أنه أقبل على الممارسة لكلام العرب وأشعارهم بالمدارسة والحفظ ليستفيد تحصيلها إلا ناقصة مخدوشة وإن فرضنا أعجمياً في النسب سلم من مخالطة اللسان العجمي بالكلية ، وذهب إلى تعلم هذه الملكة بالحفظ والمدارسة ، فربما يحصل له ذلك لكنه من الندور بحيث لا يخفى عليك بما تقرر"[41].

ويضيف إلى ذلك أن من تمرّس بالأساليب البلاغية بدراسة قوانينها وأصولها لا تحصل له هذه الملكة في العبارة وإنما تحصل له في تلك القوانين فقط، ولكنا نضيف هنا إلى هذا الرأي إضافة سريعة وهي أن التمرّس بدراسة القوانين البيانية وإجادة فهمها إذا لقي لغة أصيلة في هذا التمرّس قد يؤتي ثماره المرجوّة وقد يتمكّن من ذلك الشخص حتى يكسبه تلك الملكة في العبارة.

ويعلّل ذلك بأن كثرة الحفظ تكون ملكة لدى الحافظ يحتاج إليها في التعبير عن معناه والذي يجري على اللسان هي الألفاظ وليست المعاني لأن المعاني محلها الضمائر"[٣٣]. ويرى أن هذه المعاني في طوع كل إنسان ولا يحتاج إلا إلى لفظ جيد يخرجها إلى حيز الاستعمال والتعبير عنها يقول ابن خلدون:

"وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني ، فكما أن الأواني التي يُغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه ، تختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها وطبقات الكلام في تأليفه ، باعتبار تطبيقه على المقاصد"[٣٤].

وهكذا يمضي ابن خلدون في هذا الرأي إلى حدّ أنه يشبّه غير المتمكن من القدرة على التعبير بأسلوب جيد بالمقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه[٣٥].

وهنا يلتقي ابن خلدون مع أول من نادى بهذا الرأي وهو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ م سنة ٢٥٥ الذي اهتم بالصياغة اللّفظية في كل كتبه مع اهتمامه بمعانيه إلا أن احتفاءه بجانب اللفظ كان واضحاً ولا أدل على ذلك من تصريحه بهذا الرأي في قولته المشهورة:

"المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ... وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج...." إلى أن يقول: "فإنما الشعر صياغة وضرب من النّسج وجنس من التصوير"[٣٦].

ويلتقي ابن خلدون أيضاً في هذا الرأي مع بعض نقّاد العرب من أمثال قدامه ابن جعفر م سنة ٣٣٧هـ الذي يقول:

"إن المعاني كلها معرضة للشاعر ، وله أن يتكلّم منها فيما أحب وآثر ، من غير أن يُحظَر عليه معنى يروم الكلام فيه إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة

- أما عند ابن خلدون فهي في الألفاظ لا في المعاني[18].

مفهوم الطبع والصنعة عنده:

ربما تطلب الأمر قبل معالجة هذه النقطة إشارة مجملة لمفهوم الطبع والصنعة عند بعض النقاد السابقين على ابن خلدون ، وما للطبع والصنعة من صلة بالبلاغة ، فمن ذلك ما ذكره الجاحظ عن العرب وهو بصدد دفاعه عنهم ضد الأعاجم وتصنعهم في الشعر بقوله:

"وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر ولا استعانة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام أو حين يمتح على رأس بئر أو يحدو ببعير ، أو عند القارعة والمناقلة ، أو عند صراع أو في حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذاهب وإلى العمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني إرسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً ، ثم لا يقيده على نفسه ثم لا يدرسه أحداً من ولده وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ،وهم عليه أقدر ،وله أقهر.."[19].

ولاحظ أن هذا الرأي كان مجرد رد فعل اندفاعي من الجاحظ في لحظة معينة[20] لأننا نطالع له في البيان والتبيين نفسه - رأياً آخر يؤكد لنا فيه اهتمام العرب بتجويد أشعارهم وتنقيحها فيقول:

"ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة عنده حولاً كريتاً [21]،وزمناً طويلاً ، يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله ، وتتبعاً على نفسه فيجعل عقله زماماً على رأيه ،ورأيه عياراً على شعره ، اشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله تعالى من نعمة ، وكانوا يسمون تلك القصائد : الحوليات والمقلدات ، والمنقحات ، والمحكمات ليصير قائلها فحلا خنذيذاً[22]،وشاعراً مفلقاً [23]".

وهكذا نجد صدى القولين السابقين عند ابن خلدون عندما أكد أن البلاغة تكون في الكلام العربي إذا طابق مقتضى الحال وعندما ذكر أيضاً في مقدمته أن البلاغة (أصل

وذا قول الأصمعي:

"زهير بن ابي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر"[39].

وهذا خلط بين الطبع والصنعة أو بالأحرى بين الشعر المطبوع والشعر المصنوع، أو الذي حوى شيئاً لا يستهان به من الصنعة ولا أدل على ذلك من استشهاده على الشعر المطبوع بقول قيس بن ذريح[40]:

وأخرج من بين البيوت لعلني   أحدّث عنك النفس في السر خاليا

وقول كثير[41]

وإني وتهيامي بعزّة بعدما   تخلّيت عما بيننا وتخلّت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما   تبوأ منها للمقيل اضمحلّت

ولا أدل على هذا الخلط بين شعر الطبع وشعر الصنعة من استشهاده بالبيتين السابقين في مجال الشعر المطبوع ثم اختتامه النص السابق بقوله:

"... لكن عفواً من غير قصد ولا تعمد ويقال إنه وقع في شعر زهير"[42].

وهنا نتساءل كيف يكون عفواً من غير قصد وفي الوقت نفسه يقول إن ذلك وقع في شعر زهير والمعروف عن شعر زهير أنه كان من الشعر الذي بذل فيه الشارع جهده عاماً كاملاً حتى يخرجه إلى الناس ؟ وكيف يتفق هذا مع بيت قيس بن ذريح السابق وبيتي كثير عزة السابقين؟

وحيث إننا لن نجد إجابة عن هذه التساؤلات سوى تداخل الأمرين (الطبع والصنعة) في مفهوم ابن خلدون نقول إن أفضل ما يمكن أن نوضح به القضية هو ما ذكره ابن قتيبة في قوله:

"ومن الشعراء المتكلف والمطبوع ، فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف ، ونقّحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النّظر كزهير والحطيئة"[43].

وقد بين هذا الرأي بوضوح الدكتور شوقي ضيف بقوله:

"وهذا التقسيم من حيث هو صحيح ولكن ينبغي أن نتلقاه بشيء من الحذر ،

وجزالته ، وبسط المعنى وإبرازه ،وإتقان بنية الشعر ، وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلام بعضه على بعض في قوله :

فلا وأبيك ما ظلمت قريع   بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا

لا وأبيك ما ظلمت قريع   ولا برموا لذلك ولا أساءوا[88] .

وهكذا يبدو لنا من النص السابق اتفاق ابن خلدون مع ابن رشيق في أن الشعر المطبوع هو ما وضعه الشاعر أولاً بلا تعمّل أو تكلّف وأمّا المصنوع فهو الذى تظهر فيه بعض الصنعة والمعاناة ولكن دون قصد أو تكلّف كما فعل الشعراء المولّدون إلا أن ابن خلدون خالف ابن رشيق في كيفية هذا التحسين أو في بيان الوجوه التي يتناولها الشاعر بالتحسين والتنقيح فابن خلدون قد ذكر في نصه السابق [89] .

إن مدار التحسين يكون في " تنميق الأسجاع والموازنة بين جمل الكلام وتقسيمه بالأقسام المختلفة الأحكام والتورية باللفظ المشترك عن الخفي من معانيه والمطابقة من التضادات ليقع التجانس بين الألفاظ والمعاني . . . " [90] .

وهذه كلها محسّنات بديعية منها اللفظي ومنها المعنوي -كما نعلم -وليس كما ذكر ابن رشيق أن التحسين يكون في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه... إلى آخر النص المذكور سابقاً[91] .

ولا أدل على أن ابن خلدون اختلف مع ابن رشيق في هذه الجوانب مما ذكره من أن هذه الصنعة وقعت في شعر الإسلاميين عفواً وقصداً وأتوا منه بالعجائب[92] . واستشهد بمن أحكم طريقته في ذلك وهو حبيب بن أوس [93] والبحتري [94] ومسلم بن الوليد [95] وإليك هذا النص لابن خلدون:

"وأما الإسلاميون فوقع لهم عفواً وقصداً ، وأتوا منه بالعجائب ، وأوّل من أحكم طريقته حبيب بن أوس والبحتري ومسلم بن الوليد ، فقد كانوا مولعين بالصنعة ويأتون منها بالعجب" [96] وهكذا مضى في تعداد معظم الشعراء المولعين بالصنعة حتى أنه ذكر ابن المعتز الذى ختم على البديع والصناعة أجمع -حسب قوله[97] .

الصنعة عند المتقدمين من أهل البديع:

"الإقلال منها وأن تكون في بيتين ثم ثلاثة من القصيد"(١٠٢).

ويعلّق على ذلك بقوله:

"فتكفي في زينة الشعر ورونقه والإكثار منها عيب قاله ابن رشيق وغيره"(١٠٣).

ولا شك أن استشهاده بهذا الشرط لابن رشيق يدل على اعتداده بهذا الرأي لا سيمّا وأنه أورد في سياق الحديث نفسه رأي الشيخ البلفيقي فيمن يكثرون من الصنعة ورأي الشيخ أبي القاسم الشريف السبتي(١٠٤).

كما لا ينسى التأكيد أن هذا المفهوم البلاغي عنده لا يقتصر على الكلام المنظوم فحسب بل لابد أن يُطبق على النثر أيضاً ، يقول:

"وعلى نسبة الكلام المنظوم هو الكلام المنثور في الجاهلية والإسلام ، وكان أولاً مرسلا معتبر الموازنة بين جمله وتراكيبه ، شاهدة موازنته بفواصله ، من غير التزام سجع ولا اكتراث بصنعة ، حتى نبغ إبراهيم بن هلال الصابي(١٠٥). كاتب بني بويه . فتعاطى الصنعة والتقفية وأتى من ذلك بالعجب ،وعاب الناس عليه كلفه بذلك في المخاطبات السلطانية"(١٠٦).

ثم يرى أن الذي حمل كاتب بني بويه السابق على ذلك هو ما كان في ملوكه من العجمة وبعد عن صولة الخلافة المنفقة لسوق البلاغة -- على حد تعبيره – كما يعد أن هذا الكاتب كان بداية لانتشار هذه الصناعة بعده في نثر المتأخرين حتى نسي عهد الترسل (وتشابهت السلطانيات والإخوانيات والعربيات بالسوقيات ، واختلط المرعى بالمهمل(١٠٧).

ثم يعقب على هذا بقوله:

"وهذا كله يدلك على أن الكلام المصنوع بالمعاناة والتكلف قاصر عن الكلام المطبوع ، لقلّة الاكتراث فيه بأصل البلاغة ، والحاكم في ذلك الذوق"(١٠٨).

وهذا القول قد يصادف رداً قاسيا من علماء النحو أو دارسيه ولكن يمكن امتصاص ثورتهم عند عدم إخفاء التعجب من هذا الرأى - ولأول وهلة - وهو الذى يخالف ما ذكره عبد القاهر الجرجانى فى دلائله من أن مطابقة الكلام لمقتضى الحال لا يكون إلا بتوخى معانى النحو ومراعاة أصوله.

أقول من الممكن التعجب من هذا الرأى عند تذكر هيبة النحو المعلومة ، ولكن بعد إقناع هذا الرجل العبقرى للقارئ بما ذكره من دلائل واستشهادات وجدت استحساناً وموقعاً جيداً من سامعيها فى تلك اللهجة(١١) ، أدرك بعد ذلك صحة رأيه وقيمته البلاغية وهاهو ذا يعلل ذلك الرأى بقوله:

"الشعر وفنونه موجودة فى أشعارهم هذه ماعدا حركات الإعراب فى أواخر الكلم فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر ويتميز عندهم الفاعل عن المفعول والمبتدأ عن الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب"(١٢).

ذلك ما ذكره لنا هذا الرجل عن البلاغة فى الشعر الذى كتب شبيها بالربع والخمس الذى أحدثه المتأخرون من المولدين.

كما أنه أشار فى المقدمة إلى شعر استحدثه أهل الأمصار فى المغرب فى أعاريض مزدوجة كالموشح والذى نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا سموه (عروض البلد) وقد خرج فيه أول من كتبه عن قوانين الإعراب قليلا(١٣).

(فاستحسنه أهل فاس ونظموا على طريقته) (١٤) حتى أنهم نوَّعوه أصنافاً فكان منها:

المزدوج والكازى والملعبة والغزل(١٥) كذلك عد من هذا الشعر - ذى البلاغة العالية رغم صدوره باللغة العامية وعدم تقيده بالقواعد الإعرابية .... ما كان فى بغداد فن يسمونه (المواليا) والذى يندرج تحته فنون كثيرة (كالقوما) و (كان كان) الذى منه مفرد ومنه فى بيتين والذى يسمى (دوبيت) والذى تبعهم فيه أهل مصر بعد ذلك (وأتوا فيها بالغرائب ، وتبحّروا فيها فى أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية

هو لنا يعلل ذلك قائلا:

"والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث ، اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما ، لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ، ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها من الكلام العالي الطبقة ،وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة"[١٨٨].

ولا شك ان ابن خلدون يستحق التقدير والإجلال على هذا الرأي وقد قدره بالفعل شيخه (أبو القاسم – قاضي غرناطة في عهده – عندما سأله ابن خلدون عن سبب ارتقاء شعر الإسلاميين وتفرهم في درجة بلاغته عن شعر الجاهليين ... فلم يجبه الشيخ فعرض عليه ابن خلدون رأيه المذكور بالنص السابق ، فأعجب الشيخ به أيما إعجاب وقال له:

" يا فقيه هذا كلام من حقه أن يكتب بالذهب"[١٨٩].ثم أصبح الشيخ من بعدها يؤثر مجلسه ويدنيه منه ويشهد له بصواب الرأي والنباهة في العلوم[١٩٠]. ولا يفوتنا هنا أن نذكر بما أشرنا إليه في بداية البحث من أن جودة المحفوظ والنشأة في بيئة عربية لا تكفيان لقول الشعر الجيد أو كتابة النثر البليغ بل لابد من موهبة صافية واستعداد فطري يمكّنان الشخص من الإفادة مما يقرأه أو يسمعه حوله.

أما جانب الأسلوب فقد رأى أن الأسلوب "هو عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه..."[١٩١] فهو بذلك يعد الأسلوب صورة ذهنية للغرض الذي يريد الأديب أن يتحدّث عنه وليس له علاقة بالألفاظ وتراكيبها ومراعاتها لقواعد الإعراب وقوانين اللغة ،وإنما علاقته بالنهج والطريقة التي يتخذها الشعراء في أغراضهم بينما الرأي في ذلك أن يكون الأسلوب كلاً متكاملاً من هذه الأمور جميعها الذي يمنع من القول:

كالنوات الذى لا فائدة منه.

وعرف علوم البلاغة تماماً كما عرف كلاً منها أصحابها .. وذكر أن الملكة البلاغية العالية في درجتها لا تكون إلا بحفظ الكلام الجيد العالى فى طبقته ورأى أن علمي البلاغة (المعانى - البيان) هما جزءا البلاغة وبهما كمال الإفادة والمطابقة لمقتضى الحال وبهذا الرأى التقى مع عبد القاهر الجرجانى والخطيب القزوينى فى رأيهما.

أما البديع ، فيعده ملحقاً بالعلمين الآخرين وهو لتزيين الكلام وتحسينه وليس أصلاً فيه وهنا يلتقى مع عبد القاهر أيضا والقزوينى ومؤلف معجم البلاغة العربية[135].

ويؤخذ على ابن خلدون اختلاط بعض الأمثلة عليه ، فذكر مثلا أن قولهم (زيد أسد) استعارة وهى من التشبيه البليغ وهذا يدل على دخوله فى هذا المجال دخول هاو وليس محترفا.

كذا في جانب الأسلوب ، فقد ذكر أنه عبارة عن منهج أو قالب يلتزمه الأديب يصب فيها تراكيبه ولا يرجع فيه إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى[136].

ويرى أن الإجادة فى ذلك لا تكون إلا بحفظ أساليب العرب فى إشعارهم فإذا أراد الشاعر أن ينشئ قصيدته فما عليه إلا أن يسترجع محفوظة فى الفن الذى يريد الإنشاء فيه[137].

كما شارك فى قضية شائكة طالما اتسعت لها كتب البلاغة والنقد ألا وهى قضية اللفظ والمعنى ، فكان رأيه هو أن صناعة الكلام تكون فى الألفاظ لا فى المعانى لأن المعاني في نظره كالمادة الخام يشكل منها الصانع أشكالاً مختلفة والعبرة بالصناعة وجودتها[138].

كذا كان رأيه جلياً فى قضية الطبع والصنعة وهو فيه وثيق الصلة بالبلاغة فالكلام المطبوع لديه هو الذى استطاع صاحبه أن ينقل إلى سامعه ما جال فى نفسه

وأشار إلى أن أهل المغرب اختصوا بعلم البديع أكثر من غيرهم وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية ونوعوا منه أنواعاً . وذلك لولعهم بتزيين الألفاظ ولأن هذا العلم سهل المأخذ عن علمي البلاغة الآخرين لدقة أنظارهما وغموض معانيهما. مما دعا إلى تجافي المغاربة عنهما[٣٣].

أما الشعر الذي فضله ابن خلدون على غيره فهو الشعر الإسلامي الذي سما بسمو ثقافة شعرائه وبما فيه من تأثر واضح ببلاغة القرآن الكريم الذي عجز البشر عن مثله وببلاغة الحديث النبوي الشريف الذي جاء في المرتبة الثانية بعد بلاغة القرآن ثم تأثر هؤلاء الشعراء بخطب الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين.

٢١- نفسه ، الصفحة نفسها (بتصرف).

٢٢- المقدمة ، تحقيق الجويدي ، ص ٥٧١.

٢٣- المقدمة ، تحقيق الجويد ، ص ٥٧١.

٢٤- الحيوان ، عمرو بن بحر الجاحظ ٣١/٤، تحقيق عبد السلام هارون ، ط سنة ١٩٤٥م . القاهرة.

٢٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) ، د. إحسان عباس ، ص ٣٢٧، ط ١٩٧١م نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت (بتصرف).

٢٦- عبد القاهر وجهوده في البلاغة ، د. أحمد بدوي ، ص ٣٥٢، ط ١٩٦٢م. (أعلام العرب) مكتبة مصر (بتصرف).

٢٧- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٣٦٤.

٢٨- المقدمة ، تحقيق الجويدي ، ص ٥٧١ (بتصرف).

٢٩- دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزيات ، ص ٣٦، ط سنة ١٩٤٥م مطبعة الرسالة.

٣٠- الأسلوب ، أحمد الشايب ، ص ٤٦، ط٦ ، سنة ١٩٧٦م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

٣١- النقد الأدبي ، أحمد أمين ، ص ٥٨، ط سنة ١٩٧٢م.

٣٢- نفسه ، ص ٥٩.

٣٣- انظر مثلا قوله في النص (ولكنه مصاب بضعف الأسلوب وغموض التعبير أو الضعف في نظم الكلام وتأليفه).

٣٤- النقد الأدبي ، شوقي ضيف ، ص ٢٢٥، ط٥ ، سنة ١٩٦٢م، دار المعارف، القاهرة.

٣٥- الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضيف ، ص ١٩٩، ط٥ سنة ١٩٦٠م ، دار المعارف ، القاهرة.

٣٦- المقدمة ، تحقيق الجويدي ، ص ٥٧٦ (بتصرف) قد سبق ذكر النص عند تعريف الأسلوب.

٣٧- العمدة ، في محاسن الشعر ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، تحقيق وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٢١/١ ، ط٤ سنة ١٩٧٢م، دار الجيل ، بيروت . لبنان.

٣٨- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني - ص ١٥ ، ط٣ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة.

٣٩- نفسه ، (بتصرف).

٦٠- الحيوان ، ٢/١٣١ -١٣٢.

٦١- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى ، ص ١٩ ، ط ٣ مكتبة الخانجي - القاهرة.

٦٢- انظر سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، ص ٥٤، ٥٥ ط ١٩٦٩/ . مكتبة محمد صبيح ، الأزهر .

٦٣- ابن طباطبا هو محمد بن أحمد بن عمر العلوي . قائل حضرمي علي بمفردات العربية ، من كتبه الجموع قياسيتها وسماعيتها ، المترادفات والدخيل ، وعيار الشعر وغيرهما .. توفي سنة ١٣٥٥هـ انظر ترجمته في الأعلام ١٢/٦ ، ١٠النص من عيار الشعر ص).

٦٤- نقل هذا الرأي د. محمد غنيمي هلال في كتابه (النقد الأدبي الحديث)، ص ٢٥٥، ط ١٩٧٣/ . دار الثقافة ، دار العودة ، بيروت ، لبنان.

-وابن قتيبة هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (أبو محمد) ولد عام ٢١٣هـ ، من كتبه (أدب الكاتب) انظر ترجمته وفيات الأعيان ٥١/١.

-انظر هذا الرأي في (الشعر والشعراء) ابن قتيبة . تحقيق أحمد محمد شاكر . ج ٦٤/١، ط ١٩٦٦م. دار المعارف القاهرة.

٦٥- العمدة في محاسن الشعر ونقده١٢٤/١.

٦٦- دلائل الإعجاز . ص ١٢٨ (بتصرف).

٦٧- سبق نقل النص ص ٦ من هذا البحث.

٦٨- سبق نقل نص ابن خلدون ص ٦ من البحث.

٦٩- البيان والتبيين . عمرو بن بحر الجاحظ ٣ /٥٠ ط سنة ١٩٦٨م . دار الفكر للجميع ، وستكشف الدراسة بعيد ذلك كيف بين أن بعض شعراء العرب اهتم بتنقيح شعره وتهذيبه من أمثال شعراء الحوليات ، انظر ص ٣٨ من هذا البحث.

٧٠- الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضيف ، ص ٢٠ منقحة دار المعارف ، مصر.

٧١- كاملا.

٧٢- الخنذيذ هو التام.

٧٣- البيان والتبين ٣٩/٢٠ -٤٠.

٧٤- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق الجويدي ، ص ٥٨١.

٧٥- المرجع السابق ، ص ٥٨٢.

٩٥- هو مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء (أبو الوليد) المعروف بصريع الغواني أول من أكثر من البديع المتوفى عام ٢٠٨ انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٩٦/١٣.

٩٦- المقدمة تحقيق الجويدي ، ص ٥٨٢.

٩٧- انظر ص ٥٨٢ من المقدمة.

٩٨- المقدمة ٥٨٣.

٩٩- المقدمة ٥٨٣ (بتصرف).

١٠٠- نفسه ، الصفحة نفسها (بتصرف).

١٠١- المقدمة ص ٥٨٣.

١٠٢- نفسه ، الصفحة نفسها.

١٠٣- نفسه ، الصفحة نفسها.

١٠٤- انظر المقدمة ص ٥٨٣ كلام الشيخ البلقيني.

١٠٥- هو إبراهيم بن زهرون الحراني ، أبو إسحاق الصابي نابغة كتاب جيله كان صابئا في دينه الصابئة ، مات ولم يسلم توفي سنة ٣٨٤هـ ٩٩٤م ، انظر يتيمة الدهر ، الثعالبي ٢٣/٢، وفيات الأعيان ١٢/١.

١٠٦- المقدمة ص ٥٨٣(بتصرف).

١٠٧- نفسه ، الصفحة نفسها .

١٠٨- نفسه ، ص ٥٨٣، ٥٨٤

١٠٩- تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري). د. إحسان عباس ص ٦٢٨ ط٣ ، سنة ١٩٨١م دار الثقافة بيروت (بتصرف).

١١٠- المقدمة ص ٥٨٦.

١١١- المقدمة تحقيق الجويدي ص ٥٨٧ إلى ٥٩٣.

١١٢- نفسه ، ٥٨٦.

١١٣- رجل من أهل الأندلس يدعى ابن عمير.

١١٤- المقدمة ص ٦١٠.

١١٥- نفسه ، الصفحة نفسها.

١١٦- نفسه ص ٦١٢.

١١٧- نفسه ص ٥٧٦ - ٥٧٧ (بتصرف).

مصادر البحث ومراجعه

١- القرآن الكريم

٢- ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً . محمود الربداوي . ط سنة ١٩٨٢م ، دار قتيبة.

٣- ابن خلدون ، فلسفته الاجتماعية . غاستون بوتول . ترجمة عادل زعيتر . ط سنة ١٩٥٥م، دار إحياء الكتب العربية – عيسى الحلبي وشركاه

٤- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف .ط (بدون) دار الجيل بيروت.

٥- الأسلوب . أحمد الشايب ، ط٨ سنة ١٩٧٦م ، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة.

٦- الأعلام . خير الدين الزركلي ، ط ١١ سنة ١٩٩٥م ، دار العلم للملايين . بيروت – لبنان.

٧- الأغاني أبو الفرج الأصفهاني . ط دار الكتب المصرية.

٨- البديعيات . نشأتها ، تطورها ، أثرها . علي ابو زيد . ط سنة ١٩٨٣م . عالم الكتب . بيروت – لبنان.

٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – جلال الدين السيوطي . ط سنة ١٣٢٦هـ . القاهرة.

١٠- البديع لغة الموسيقى والشعر . د. مصطفى الصاوي الجويني . ط سنة ١٩٩٣م. دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية

١١- البلاغة العربية ، وسائله وغاياتها في التصوير البياني . د. ربيعي محمد علي عبد الخالق . ط سنة ١٩٨٩م ، دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية.

١٢- البيان والتبيين . أبو عثمان (عمرو بن بحر الجاحظ) ط سنة ١٩٦٨م ، دار الفكر للجميع ، بيروت.

١٣- تاريخ النقد الأدبي عند العرب . (نقد الشعر) من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري د. إحسان عباس ط٣ سنة ١٩٨١م ، دار الثقافة بيروت . لبنان.

١٤- الحيوان الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) تحقيق عبد السلام هارون. ط سنة ١٩٤٥م ، دار المعارف – القاهرة.

١٥- دفاع عن البلاغة ، أحمد حسن الزيات ، ط سنة ١٩٤٥م ، مطبعة الرسالة ، القاهرة .

١٦- دلائل الإعجاز ، عبد القاهرة الجرجاني . تعليق وشرح د. محمد عبد المنعم خفاجي ، سنة

٢٨- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق درويش الجويدي ، ط١ سنة ١٩٩٥م ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت .

٢٩- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، ط٢ (لجنة البيان العربي) وط٣ (دار نهضة مصر).

٣٠- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، القرطاجني (أبو الحسن حازم القرطاجني) تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، ط٣ سنة ١٩٨٦م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان.

٣١- النقد الأدبي ، أحمد أمين ، ط سنة ١٩٧٢م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

٣٢- النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، ط٥ سنة ١٩٦٢م ، دار المعارف القاهرة.

٣٣- النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، ط سنة ١٩٧٣م ، دار الثقافة ، دار العودة ، بيروت ، لبنان.

٣٤- نقد النثر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٩٥	١ من الأول	رغم تعدد	رغم تعدد
٤٩٦	٢ " "	هذا المضى	هذا المعنى
٤٩٧	٤ من الآخر	عبد الرحمن	عبد الرحمن بن خلدون
٤٩٨	٩ " "	كيف ما يسلم	كيف من يعلم
٤٩٨	٣ " "	المفردات والتركيب	المفردات والتراكيب
٤٩٩	١ من الأول	الدالة بأنه	الدالة لا بصاحب
"	٦ " "	وتقيد الجملة	وتقيد الجملة
"	٧ من الآخر	وتقيد النفس بلا أبدأ	وتقيد النفس بلا أبداً
"	٣ " "	جازما	جازماً
"	١ " "	متكلفا	متكلفاً
٥٠٠	٦ من الأول	ذاكرت يوما	ذاكرت يوماً
"	١٠ من الآخر	مؤكدا	مؤكداً
٥٠١	٧ من الأول	هذه الصناعة	هذه الصناعة
"	٣ من الآخر	ويعينه على	ويعينه على
٥٠٣	٧ " "	في المستغني عن	في المستغني عن
٥٠٤	١ " "	للناظم ما أراده	للناظم وأن ما أراده
٥٠٥	٩ " "	أن يشعر بها	أن يشعر بها
٥٠٨	٨ من الأول	وتنقل اليوم	وينقل اليوم
"	١٣ " "	الذي لا ينكره	الذي لا ينكر
٥٠٩	٦ من الآخر	لأن قصاراهم	لأن قصاراهم
"	٦ " "	أن يحصوا	أن يحتشوا
"	٧ " "	بما يداوله	بما يتداوله
٥١٠	٨ " "	تحصيل الناقصة	تحصيل الشق أن يحصل له ما حصله من أن الملكة إذا حصلت بملكة أخرى في المحل فلم تحصل إلا ناقصة.
٥١١	٦ من الأول	رسالة أن يصير	رسالة أن يصير
"	" " "	ملتبسا بالمرء في زمانه محوه لزوم	ملتبسا بالمرء في زمانه لزوما لا يزول

تابع تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥١١	٣ من الآخر	في جليه	في جيله
٥١٥	٨ من الأول	باختلاف ضبط طبقات الكلام في تأليفه	باختلاف ضبط الدلالة باختلاف [illegible] كذلك جودة اللغة و[illegible] تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه
٥١٥	٩ من الأول	غير المتكلمين	غير المتكلمة
"	١١ " "	مع الصناعة معانية	مع الصناعة معانيه
٥١٥	٤ " "	يخالف [illegible] الزجر	يخالف [illegible] الزجر
"	٨ " "	الثالث يدعون	الثالث الذين يدعون
"	" " "	الدهماء بالجنيجا	الدهماء بالإتيان معاً
٥١٦	٩ " "	هو مرتجى	كما مرتجى
"	" " "	كل الغامضة	كل الغامضة
٥٢١	٦ " "	في عصر ابن خلدون لسانه	في عصر ابن خلدون في لسانه
"	٩ من الآخر	صحت البلاغة وزيدة	صحت الدلالة وإذا طابقت الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة
٥٢٣	١٠ من الأول	ابن خلدون [illegible]	ابن خلدون والبلاغة
٥٢٤	١٠ من الآخر	في العلوم (١٣٠)	في العلوم (١٢٠)
٥٢٤	٥ " "	يتفرع عنه (١٣١)	يتفرع عنه ... (١٢١)
٥٢٥	١١ من الأول	عن الدورة من المرئيات (١٣٢)	عن الدورة من المرئيات (١٢٢)
"	١٦ " "	التي كثيراً ما يلم الغرض	التي كثيراً ما يتسع من الغرض
"	٦ من الآخر	منذ حداثة سنه (١٣٣)	منذ حداثة سنه (١٢٣)
"	٣ " "	العرب (١٣٤)	العرب (١٢٤)
٥٢٥	٩ من الأول	العربية (١٣٥)	العربية (١٢٥)
٥٢٦	١٠ من الآخر	كما لا يخفى (١٣٦)	كما لا يخفى (١٢٦)
"	٤ من الآخر	[illegible] (١٣٧)	[illegible] (١٢٧)
"	٣ من الآخر	وجود [illegible] (١٣٨)	وجود [illegible] (١٢٨)
٥٢٧	١ من الأول	[illegible] (١٣٩)	[illegible] (١٢٩)

١٩٧٧م ، مكتبة القاهرة.

١٧- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط سنة ١٩٧٧م، دار المعارف ، القاهرة.

١٨- سر الفصاحة ، الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي) شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، ط سنة ١٩٦٩م ، مكتبة مصطفى الحلبي وشركاه.

١٩- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط٢ سنة ١٩٦٦م ، دار المعارف القاهرة.

٢٠- عبد القاهر وجهوده في البلاغة العربية ن د. أحمد بدوي ، ط سنة ١٩٦٢م (أعلام العرب) مكتبة مصر.

٢١- عبقريات ابن خلدون ، د. علي عبد الواحد وافي ، ط٢ سنة ١٩٨٤م ، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية.

٢٢- العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق (أبو علي بن الحسين ابن رشيق القيرواني الأزدي) تحقيق وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ سنة ١٩٧٢م ، دار الجيل ، بيروت - لبنان.

٢٣- عيار الشعر ابن طباطبا (محمد بن أحمد العلوي) تحقيق الحاجري ، د. زغلول سلام ، ط سنة ١٩٥٦م.

٢٤- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، ط٨ سنة ١٩٦٠ ، دار المعارف ، القاهرة.

٢٥- كتاب الصناعتين - العسكري - أبو هلال (الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري) تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، ط (بدون) مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة.

٢٦- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - يحيى بن حمزة العلوي اليمني ، إشراف وضبط جماعة من العلماء ، ط (بدون) دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

٢٧- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط سنة ١٩٩٠م ، صيدا ، بيروت.

١١٨- نفسه ص ٥٨٠.

١١٩- نفسه ٥٨١.

١٢٠- نفسه ، الصفحة نفسها (بتصرف).

١٢١- ذكر النص كاملا في تعريفه للأسلوب ، من هذا البحث.

١٢٢- البديعيات هي قصائد مطولة تزيد الواحدة فيها على الخمسين بيتا يلتزم فيها الشعراء ببحر البسيط ورويها الميم المكسورة ، وهدفها الرئيسي هو مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويهتم فيها الشعراء بتضمين البيت منها لونا أو لونين من ألوان البديع - انظر في ذلك: البديعيات ، نشأتها ،تطورها ، د. علي أبو زيد ط سنة ١٨٩١م عالم الكتب ، بيروت.

١٢٣- المقدمة تحقيق الجويدي ص ٨.

١٢٤- تاريخ النقد الأدبي عند العرب د. إحسان عباس ، ص ٦٢٢(بتصرف).

١٢٥- معجم البلاغة العربية ، ص ٦٧.

١٢٦- المقدمة ، ص ٥٧٦ (بتصرف).

١٢٧- نفسه ، الصفحة نفسها.

١٢٨- المقدمة ص ٥٧٦ - ٥٧٧(بتصرف).

١٢٩- المقدمة ص ٥٨٦ (بتصرف).

١٣٠- العمدة ١٢٩/٢(بتصرف).

١٣١- المقدمة ٥٥٢.

١٣٢- نفسه - الصفحة نفسها (بتصرف).

٧٦- سورة الليل ، ص ١-٢.

٧٧- سورة الليل ٥-٦.

٧٨- المقدمة ص ٥٨٢ (زهير بني أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني من مضر - حكيم الشعراء في الجاهلية ، توفي سنة ٦٠٩م ، انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٤٤/١.

٧٩- البيان والتبيين - ٢ /٤٦.

٨٠- نفسه ، الصفحة نفسها .

٨١- قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة بين الكناني شاعر بين العشاق المتيمين ، اشتهر بحب ((لبنى)) وهو من شعراء العصر الأموي مات سنة ١٧٣هـ - ٧٨٩م ، انظر ترجمته الأغاني ٨ /١٠٧ -١٢٨.

٨٢- هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عام الخزاعي أو صخر شاعر متيم مشهور من أهل المدينة وأكثر إقامته بمصر ، توفي بالمدينة سنة ١٠١٥هـ - ٧٢٣م، انظر وفيات الأعيان ٤٣٣/١ ، والأغاني ٢٥/٨.

٨٣- المقدمة ص ٥٨٢ تحقيق الجويدي.

٨٤- الشعر والشعراء ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ٧٧/١ -٧٨.

٨٥- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ٢١.

٨٦- نفسه ص ٢٢.

٨٧- العمدة في محاسن الشعر ونقده ١٢٩/١.

٨٨- نفسه ، الصفحة نفسها.

٨٩- راجع ص ١٧ من هذا البحث

٩٠- المقدمة تحقيق الجويدي ، ص ٥٨٢.

٩١- سبق ذكر النص في أعلى هذه الصفحة من هذا البحث وهو في العمدة ١٢٩/١.

٩٢- المقدمة ٥٨٢(بتصرف).

٩٣- أبو تمام ، الشاعر الأديب المتوفى سنة ٢٣١هـ ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢١/١١ ، أو تاريخ بغداد ٤٨/٨.

٩٤- هو الوليد بن عبيدي (أبو عبادة البحتري الشاعر الكبير المتوفى سنة ٢٨٤هـ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١٧٥/٢ ، وتاريخ بغداد ٤٤٦/٢.

٤٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشعر ، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الموصلي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٩٩/١ ، ط سنة ١٩٩٠م ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت.

٤١- نفسه ، الصفحة نفسها (بتصريف).

٤٢- ابن حجة الحموي، ولد سنة ٧٦٧هـ ، وتوفي سنة ٨٣٧هـ ، انظر الأعلام ٦٧/٢.

٤٣- ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً .. محمود الربداوي ، ص ٢١٧، ط سنة ١٩٨٢م ، دار قتيبة (بتصريف).

٤٤- النقد الأدبي ، أحمد أمين ، ص ٦٠.

٤٥- المقدمة ، تحقيق الجويدي ، ص ٥٦١.

٤٦- نفسه ، الصفحة نفسها.

٤٧- نفسه ، الصفحة نفسها.

٤٨- نفسه ، ص٥٦٦ (بتصريف).

٤٩- نفسه ، الصفحة نفسها (بتصريف).

٥٠- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

٥١- سيبويه – هو عمرو بن عثمان أبو بشر الملقب بسيبويه – إمام النحاة صاحب (الكتاب) ولد سنة ١٤٨هـ ، وتوفي عام ١٨٠هـ ، انظر وفيات الأعيان ، ٣٥٨/١، تاريخ بغداد ١٩٥/١٢.

٥٢- هو عمر بن جار الله محمود الخوارزمي الزمخشري عالم بالدين والتفسير واللغة صاحب كتاب (الكشاف) و(المفصل) ولد سنة ٤٦٧هـ ، وتوفي بخشيبه ٥٣٨هـ ، انظر وفيات الأعيان ٨١/١٩ ، معجم الأدباء ١٤٧/٧.

٥٣- انظر ما ذكر في البحث عن كيفية انتشار الأسلوب العربي السليم في رأيه ومدى تأثره بآراء الآخرين – الصفحات ٤-٦.

٥٤- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق الجويدي ، ص ٥٦٣.

٥٥- نفسه ، ص ٥٦٣.

٥٦- نفسه ، ص ٥٧٦ -٥٧٧.

٥٧- نفسه ، ص ٥٧٧ (بتصرف).

٥٨- نفسه ، الصفحة نفسها .

٥٩- نفسه ، الصفحة نفسها (بتصرف).

الهوامــــش

١- تذكر على سبيل المثال عبقريات ابن خلـدون .د. علي عبد الواحد وافي – ص ١٧ –١١٣ ط٣ مزيدة ومنقحة عام ١٩٨٤م ، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع . المملكة العربية السعودية.

٢- ابن خلدون . فلسفته الاجتماعية، غاستون بوتول ، ترجمة عادل زعيتر ، ص ١٢٨ . ط سنة ١٩٥٥م، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣- عبقريات ابن خلدون ، ص ١٣١.

٤- إلى ما بعد وفاته بخمسة قرون.

٥- عبقريات ابن خلدون ص ١٣٣–١٣٤(بتصرف).

٦- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، ص ١٣٠٤– وتحقيق الجويدي ص ٥٧٧.

٧- نفس المصدرين السابقين على التوالي ص ١٣٤ ، ص ٥٧٨.

٨- حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني ، ولد سنة ١٢١١م وتوفي سنة ١٢٨٥م انظر الأعلام ١٥٩١.

٩- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، ص ٣٤٤ ط٣ سنة ١٩٨٦م دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان .

١٠- نفسه – الصفحة نفسها.

١١- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، ص ١٣٠٥.

١٢- نفسه ،نفس الصفحة (بتصرف).

١٣- نفسه ، ص ١٣٠٧.

١٤- نفسه ، الصفحة نفسها.

١٥- نفسه ، الصفحة نفسها (بتصرف).

١٦- المقدمة تحقيق الجويدي ، ص ٥٦٩.

١٧- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق الجويدي ، ص ٥٦٩.

١٨- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص ٢٣، ط١٩٧٧م ، دار المعارف ، مصر.

١٩- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق الجويدي ، ٥٦٩ –٥٧١.

٢٠- مقدمة ابن خلدون تحقيق الجويدي ، ص ٥٧١.

وخاطره دون تكلف أو مشقة(١٢٩).

ويعد ذلك طبيعة جبل عليها الشاعر العربي ، وحين يتبع ذلك ضروب من التزيين والتحسين في الأسلوب – زائد على فائدة المعنى المراد – فهو عفوا ودون قصد من الشاعر .

أما الكلام المصنوع – في رأيه – فهو الكلام الذي أتعب صاحبه فيه نفسه وبذل في تحسينه كلا ما أمكنه من سجع وموازنة وطباق وتورية . وما إلى ذلك من أنواع البديع المعروفة، وهو في هذا يختلف مع ابن رشيق في نوع الصنعة والجانب الذي يتناول بالتهذيب والتحسين(١٣٠).

وربط ابن خلدون بين هذا الجانب (الطبع والصنعة) وبين بلاغة الكلام فرأى أن بلاغة الكلام تكمن في إفادة المعنى المراد وما عدا ذلك لا يعد من البلاغة في شيء ، واستشهد على ذلك بالشعر العامي في بعض اللهجات الذي كان يلقى استحسانا كبيراً من سامعيه رغم ما فيه من خلل إعرابي وما ذاك إلا لأن قائله قد رأى اللهجة الدارجة بين المتلقين فأحكمها في شعره فلقيت ذلك الوقع الحسن.

ولعله كان ينشد هدفا سامياً من وراء ذلك – وما أحسبه إلا كذلك – هذا الهدف هو أن يحارب الصنعة التي طغت على الشعراء والكتاب في تلك الفترة وأن يثبت لهم بالدليل القاطع أن بلاغة القول تكمن في إفادة المعنى وإن كان القول عامياً لا في التنميق والتحسين الذي لا فائدة منه ولا معنى.

ولم ينس الرجل أن يربط بين علوم البلاغة هذه وبين الغرض الأساسي الذي أنشأ من أجله مقدمته وهو الحديث عن العمران البشري ، فذكر أن المشارقة أكثر اهتماماً بعلم البيان من المغاربة في الشرح والتعليم – وذلك لأن علم البيان – كما في العلوم اللسانية ، والصنائع الكمالية توجد في وفور العمران والشرق أوفر عمرانا من الغرب ، كما ذكرنا أو نقول لعناية العجم وهم معظم أهل الشرق ، كتفسير الزمخشري ، وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله"(١٣١).

إن الأسلوب هو منهج يلتزمه الأديب (شاعرا كان أو كاتبا) في وضع ألفاظه وتراكيبه وضعا جيدا يشهد له بالأصالة والقدرة على الوصول إلى القارئ والسامع أنفسهما في يسر وسهولة سواء أكان هذا المنهج قديما أو حديثا وإنما الفيصل في ذلك هو الوصول إلى المتلقي نفسه بلا تعقيد أو تقليد مخل؟

خاتمة البحث ونتائجه

في عصر كان يسرف في أغلال الصنعة والتلاعب بالألفاظ وشغل الولع بالفنون البديعية شعراءه ، وكتابه كان لا يستغرب أن ينشأ فن شعري هدفه تقعيد القواعد البلاغية بشكل عام وقواعد البديع وفنونه بشكل خاص.

نعم في القرن الثامن الهجري وفي العقد الرابع منه كانت ولادة ابن خلدون (٧٣٢هـ) تلك الفترة التي شهدت نشاطا كبيرا في التأليف البلاغي حتى إن هذا القرن قد تمخض عن ولادة فن البديعيات[١٣٢].

وفي الفترة ما بين (٧٣٢ -٨٠٨هـ) عاش ابن خلدون وهي تلك الفترة التي ضج فيها الشعر والنثر من قيود الصنعة وأغلالها. ولكن هذا المؤرخ الفذ لم يقف موقف المتفرج مما يعاني أدب عصره فحاول أن يلقي ما في دلوه من أفكار وآراء تدل على خلفية بلاغية واعية لعلوم البلاغة الثلاثة ، المعاني - البيان - البديع ، تلك العلوم التي كثيرا ما يلم الخوض فيها بعض دارسي اللغة فكيف بالمؤرخين وأمثالهم..؟

ولكن لا يستغرب ذلك إذا تذكرنا اهتمام الرجل باللغة وحفظ القرآن وسماع الحديث الشريف ، فضلا عن حفظه للشعر منذ حداثة سنه (١٣٣)، حتى إنه كتب كثيراً من الشعر وما لبث أن تركه لامتلاء محفوظه بالمتون والقصائد التعليمية التي خدشت وجه الملكة التي استعد لها بذلك المحفوظ الجيد - من القرآن والحديث وكلام العرب[١٣٤].فإذا أضيف إلى ذلك شغله بالقضاء والتدريس وكبر السن علم أسباب تركه الشعر بعد ذلك.

وقد عُرف ابن خلدون البلاغة أنها إفادة المعنى المراد وبشياعه يصح الكلام

فجاءوا بالعجائب...)(٢٦).

وذلك هو رأى ابن خلدون في الشعر العامي الذى ينبع من مفهومه الجيد للبلاغة... ولعلّنا هنا نلمس من هذا شيئاً مهماً .. هو أن كثرة الصنعة في عصره إلى الحد الذى ضاعت فيه معاني الشعر وقيمته ، دفعت هذا الرجل إلى ذكر هذا الرأى لا لأنه يكره الإعراب أو التقيد به ولكن ليؤكد تأكيداً تاماً أن شعراً يخلو من الصنعة المتكلفة أو اختلت به بعض قواعد النحو المعروفة - وقد استحسنه سامعوه - خير من شعر أو كلام لا يفهم فحواه ولا يُدرك أصله ومغزاه بسبب تلك الصنعة التى اتعبت صاحبها ليحكم على شعره بالبلاغة وما هو من البلاغة في شيء.

تعقيب وتعليق عام:

لقد بدأ من خلال محوري البحث السابقين (ابن خلدون والبلاغي، ابن خلدون والأسلوب) مدى اهتمام الرجل بهذين الجانبين المهمين من جوانب الأدب رغم أنه مفكّر اجتماعي كبير ... فإن هذا الاتجاه لم يصرف نظره عن لغته وقيمتها البلاغية العالية فالبلاغة في نظره ليست مجرّد قواعد تدرّس ويطبقها دارسها على ما يكتب أو يقول...بل هي ملكة مكتسبة من الوسط الذى ينشأ فيه الشخص منذ نعومة أظفاره فالأعجمي الأصل إن كان قد نشأ منذ مولده في بيئة عربية ، سبقت عليه ملكتهم ولغتهم الأصلية - رغم أصوله الأعجمية(٢٧). والعربي الذى نشأ في بيئة أعجمية منذ حداثته سبقت عليه تلك الأعجمية وفقد حسه اللغوي في اللغة العربية - رغم أصوله العربية.

لذا ينبغي الاهتمام بتربية النشء ووضعه في بيئة عربية صحيحة اللغة حتى تنشأ عنده هذه الملكة ثم محاولة تربيتها وإثراء مكوناتها بالمحفوظ الجيّد من الشعر والنثر العربي وكثرة الممارسة والمدارسة حتى تؤتي هذه الملكة أكلها ولا أدل على ذلك أن استشهاد ابن خلدون بالشعر الإسلامي الذى كان أعلى درجة في البلاغة من غيره بسبب تأثير القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف على محفوظ هؤلاء الشعراء فها

ويستخلص من هذا التعقيب : أن الرجل كان يحبّذ الكلام (الشعر ، النثر) المطبوع، لأنه يهتم بأصول المعاني وإفادة السامع منه الإفادة التامة، ويقبل مع هذا المطبوع بعض الصنعة غير المتكلفة والتي تأتي عفواً ولا تخل بأصل البلاغة بينما يرفض الصنعة المتكلّفة التي تذهب بأصول الكلام وبلاغته وجوهره ولا تهتم إلا بمظهره وشكله.

ولا أدل على ذلك من اهتمامه بالشعر العامي إذا كان في عصر ابن خلدون لسان مضر قد أصبح عدة لهجات عامية متباينة في مختلف الأقطار ولذلك وجد في كل قطر شعر خاص به وبلهجة أهله(١٠٦).

ورغم أن هذا الشعر لا يتذوقه علماء اللسان المحافظون على الصياغة القديمة فإنه يرى فيه بلاغة فائقة على الرغم مما فيه من خلل في الإعراب لأن الإعراب في رأيه لا مدخل له في البلاغة فيقول:

"إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالاً على الفاعل والنصب دالاً على المفعول وبالعكس وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو في لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة ، فإذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك"(١٠٧).

والحقيقة أن صاحبنا في هذا الرأى قد أصاب المفصل فما قيمة الكلام إذا لم يفهمه المخاطبون؟ وهل الشاعر أو الناثر أو غيرهما من المتحدثين يشعرون بقيمة حديثهم إذا لم يفهمه السامعون أو هل هذا الشاعر ينشئ القصيدة لنفسه ، أم ليرى تأثيرها على غيره من الناس ومدى استجابتهم لها...؟ وهل يحكم على الشعر بالجودة إلا من قبل المتلقين له؟ وما دام المتلقي هو الذى يحكم على قيمة العمل الأدبي فالفيصل في البلاغة هنا – كما ذكر ابن خلدون – هو مراعاة حال المتلقين وملكة فهمهم ولسانهم وتذوقهم لا قوانين نحوية جامدة قد يكون لها استعمال في لهجة القوم أولا يكون.

ولكن ما مدى ربط ابن خلدون بين هذين المذهبين النقديين (الطبع والصنعة) وبين البلاغة؟ وهل هناك علاقة ما بين الطبع والبلاغة أو بين شعر الصنعة والبلاغة؟

لاشكّ أن الإجابة عن هذين السؤالين وردت في مقدمة ابن خلدون بتفصيل واضح ، وأظهرت مفهوم الرجل البلاغي بل وحدّدت موقفه الأصيل من كِلا المذهبين فها هو ذا يقول :-

"وقد تعدّدت أصناف هذه الصنعة عند أهلها واختلفت إصطلاحاتهم في ألقابها، وكثير منهم يجعلها مندرجة في البلاغة على أنها غير داخلة في الإفادة ، وأنها هي تعطي التحسين والرونق"[٩٨].

فتأمل في قوله السابق والذي يؤكد فيه أن الصنعة تحسين ورونق في الكلام وليست أصلا فيه لأن البلاغة عنده هي حصول الفائدة من الكلام.

ولا يكتفي ابن خلدون بذلك المفهوم بل يوضح أن المتقدّمين من أهل البديع الذين اعتدّوا الصنعة خارجة عن البلاغة وعدوها من الفنون التي لا موضوع لها كابن رشيق في العمدة وأبناء الأندلس[٩٩].

ثم ذكر الشروط التي اشترطوها في استعمالها وهي أن تقع في الكلام بلا تكلّف ولا اكتراث فيما يقصد منها أما إن جاءت عفواً فلا عيب في ذلك لأن الكلام إذا برىء من التكلّف سلِم من العيب والاستهجان[١٠٠] ويعلّق على ذلك الشرط بقوله:-

"لأنّ تكلّفها ومعاناتها يصير إلى الغفلة عن التراكيب الأصلية للكلام ، فتخل بالإفادة من أصلها وتذهب بالبلاغة رأساً ، ولا يبقى في الكلام إلا تلك التحسينات،وهذا هو الغالب اليوم على أهل العصر وأصحاب الأذواق في البلاغة يسخرون من كلفهم بهذه الفنون ويعدون ذلك من القصور عن سواه"[١٠١].

ولا شك أن ابن خلدون في تعليقه هذا يدل على كرهه لهذه الصنعة ذلك الكره الذي ينبع من اهتمامه الصادق بالكلام البليغ الذي يؤدي الغرض الذي سيق من أجله . ولكنه مع ذلك لا يهمل جانب الصّنعة إهمالا تاماً بل ذكر من شروط استعمال هذه

فإن هؤلاء المطبوعين لم يكونوا يلغون التكلُّف إلغاءً ، كما أن هؤلاء المتكلفين لم يكونوا يلغون الطبع إلغاءً، ولذلك كنا نعمّم التكلُّف في الشعر القديم ونجعله على درجات يبلغ أعلاها عند زهير وأصحابه الذين كانوا يعملون شعرهم عملاً ويأخذونه بالتفكير الدقيق والبحث والتحقيق"(٣٤).

ولهذا يرى الدكتور شوقي ضيف أن الصنعة هي أول مذهب يقابلنا في الشعر الجاهلي لأنها على حد قوله توجد في جميع نماذجه القديمة وإن كانت تتخذ شكلاً بسيطاً عند بعض الشعراء من الحذق والمهارة"(٣٥).

وهكذا لا نجد غباراً على عدم دقة ابن خلدون السابقة في هذا الفصل بين شعر الطبع وشعر الصنعة فربما خانه التعبير في ذلك أحياناً وعدم الدقة أحياناً أخرى إلا أن الرجل أدرك تماماً أن شعر الطبع ينتهي عند إتمامه المعنى المراد.

أما إذا أضيف إليه شيء من التزيين والتحسين فيزيده جمالاً ولعله هنا يريد شعر الصنعة كما ذكر ذلك ابن رشيق في العمدة بقوله:-

"ومن الشعر مطبوع ومصنوع ، فالمطبوع هو الأصل الذى وضع أولا وعليه المدار، والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفاً تكلف أشعار المولّدين لكن وقع فيه هذا النوع الذى سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل ، لكن بطباع القوم عفواً ، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل ، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف يصنع القصيدة ثم يكرّر نظره فيها خوفاً من التعقيب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة وربّما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك "(٣٦).

ثم يبين ابن رشيق في النص نفسه كيف يحسن العرب شعرهم وينقّحونه وما هي الجوانب التي يتناولها الشاعر منهم في هذا التحسين والتهذيب فيقول:

"والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظة للفظة ، أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام

في الكلام العربي وسجيته وروحه وطبيعته"[٣١].

وهذا ما أراده الجاحظ في النص الأول الذي دافع به عن العرب ضد الشعوبية

أما التقاء ابن خلدون مع الجاحظ في النص الثاني فيبدو في قول ابن خلدون الآتي:

"ثم اعلم انهم إذا قالوا : الكلام المطبوع ، فإنهم يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله المقصود ، لأنه عبارة وخطاب ، ليس المقصود منه النطق فقط بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة، ويدل به عليه دلالة وثيقة ثم يتبع تراكيب الكلام في هذه السجية التي له بالأصالة ضروب من التحسين ،والموازنة بين جمل الكلام وتقسيمه بالأقسام المختلفة الإحكام والتورية باللفظ المشترك عن الخفي من معانيه والمطابقة بين المتضادات ليقع التجانس بين الألفاظ والمعاني ، فيحصل للكلام رونق ولذة في السماع وحلاوة وجمال كلها زائدة على الإفادة"[٣٢].

وهكذا بدا لنا من النص السابق إشارة ابن خلدون إلى وجود الصنعة في الشعر العربي وقد ذكر أيضاً أنها موجودة في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى:

"والليلِ إذا يغْشَى ، والنَّهارِ إذا تجلَّى" [٣٣].

ومثل قوله تعالى :

"فأما من أعْطَى واتَّقى ،وصدَّق بالحُسْنى" [٣٤].

إلى آخر الأمثلة التي ذكرها من القرآن الكريم والتي يقول بعدها معلّقاً:

"وأمثاله كثير ، وذلك بعد الكمال الإفادة في أصل هذه التراكيب قبل وقوع هذا البديع فيها ، وكذا وقع في كلام الجاهلية منه، لكن عفواً من غير قصد ولا تعمد ويقال إنه وقع في شعر زهير"[٣٥].

وذهب إلى تفضيل هذا النوع من الشعر ، الحطيئة والأصمعي فها هو ذا قول الحطيئة مثلاً :

"خير الشعر الحولي المحكَّك"[٣٦].

الموضوعة والشعر فيها كالصورة ....."(٦١).

ويسير في التيار نفسه ابن سنان الخفاجي م سنة ٤٤٦ الذى وصل به الأمر إلى ذكر معايير حسن اللفظ(٦٢) ولا شك في أن ابن خلدون -هنا- ومن اتفق معه من النقاد يخالف التيار الآخر القائل بأهمية المعنى وفضيلته على اللفظ من أمثال ابن طباطبا وابن الأثير فيقول ابن طباطبا(٦٣) مؤكدًا رأيه:

"وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذى ابرز فيه ، وكم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه".

وهو يخالف أيضا أنصار المذهب الثالث يدعون إلى الاهتمام بالجنبين معا لأنهما -عندهم- وجها عملة واحدة(٦٤). من أمثال : ابن المعتمر وابن قتيبة وأبى هلال العسكرى والمرزوقي وابن رشيق وغيرهم.

فابن قتيبة (م سنة ٢٧٦هـ) يجعل أحسن أنواع الشعر ما حسن لفظه وجاد معناه وأرداه ما تأخر لفظه وتأخر معناه.

وابن رشيق ينادي بنفس الرأي في النص الآتى :(٦٥)

"اللفظ جسم وروحه المعنى ،وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه أو يقوى بقوته...".

ذلك هو موقف المساوين بين اللفظ والمعنى وقد عرض موقف ابن خلدون منهم في نصه السابق.

ولكن ترى ما مدى اقتراب الرجل في رأيه المنادي بضرورة الاهتمام باللفظ؟ من أمثال عبد القاهر الجرجاني الذى نادى بفكرة النَّظم - والذى يرى أن الأديب إنما يختار ألفاظه لمعانيه كما يختار الرَّسام أو صابغ الثوب ألوانه حتى يأتى ما يفعله فى شكل فريد لا يشاركه فيه غيره(٦٦).

قد أشرنا من قبل إلى أن فكرة النظم عند عبد القاهر هى عبارة عن مزيج من المعاني والألفاظ المختارة لها والمرتبة ترتيباً موافقاً لترتيب تلك المعاني في النفس (٦٧).

ويتضح من خلال ذلك رأى ابن خلدون فى أن كسب الذوق البلاغى فى اللغة العربية ليس بالأمر الميسور ادعاؤه ومثال ذلك أننا لو افترضنا وجود شخص عربى النسب ينشأ نشأة أعجمية اللسان عديمة الإفصاح والبيان فما هويا ترى مصير الملكة البيانية عنده؟ وما هي النتيجة لو حاول فيما بعد مخالطة العرب ومدارسة أشعارهم وحفظها؟.

ولا شك أن مصيره هو نفس المصير الذى ذكره ابن خلدون عن الأعجمى الذى خالط العرب وحفظ أشعارهم ، فقد يجيد الحفظ والفهم – إلى حد ما – ولكنه لن يجيد التأليف البليغ ، وهذا ما نشهده في أبناء الأسر العربية الذين ينشأون فى بيئات غير عربية أو الذين تزج بهم أسرهم فى مدارس اللغات الأجنبية فيكون فى دراستهم الأولى فى هذه الدارس ما يمكّنهم من تلك اللغات ضاربين بلغتهم العربية الأولى عرض الحائط ولا يبالون في ذلك بلومة لائم ، فنجد ما نجده فيهم من اللكنة والتلكؤ فى الكلام العربى الذى كان ينبغى أن يكون أصلا فيهم يقول ابن خلدون:

"والسبب فى ذلك ما يسبق إلى التعلّم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة"(٣٣).

موقفه من قضية اللفظ والمعنى:

ويأبى ابن خلدون إلا أن يشارك فى هذه القضية القديمة ليدلي فيها بدلوه فيقول :

"اعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنّما هي فى الألفاظ لا في المعاني ،وإنّما المعاني تبع لها وهي أصل ، فالصانع الذى يحاول ملكة الكلام فى النظم والنثر ، إنما يحاولها فى الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ، ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة فى لسان مضر ، ويتخلّص من العُجمة التى ربى عليها في جليه، ويفرض نفسه ، مثل وليد ينشأ فى جيل العرب ويُلقَّن لغتهم كما يلقّنها الصبي، حتى يصير كأنه واحد منهم فى لسانهم"(٣٤).

ورقته بلا تفكير أو معاناة لأن هذه الملكة كغيرها من الملكات "إذا استقرَّت ورسخت في مجالها ظهرت كأنَّها طبيعة وجبلةَّ كذلك المحل" (٢١).

ويرى أن هذا هو السبب في ظن بعض الناس ان الصواب للعرب في لغتهم إعراباً وبلاغة أمر طبيعي ويقال في ذلك " كانت العرب تنطق بالطبع ،وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكَّنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع"(٢٢).

لذا يؤكد – مرة أخرى – ضرورة مخالطة العرب وممارسة أساليبهم والتفطّن لخواص هذه التراكيب حتى تحصل هذه الملكة لأنَّها لا تُكتسب بمجرد تعلُّم القوانين البيانية فتعلم القوانين إنما يفيد علماً بذلك اللسان ولا يكون ما يعرف بملكة الذوق أو البلاغة(٢٣). ويضرب لذلك مثلاً:

أن الصبي الذي ينشأ بين علماء النَّحو أو البلاغة فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها ولكن ليس عن طريق القوانين وإنما بحصول الملكة في لسانه ونطقه"(٢٤).

ويستدلّ على عكس ذلك بالأعاجم من الفرس والروم والترك الذين خالطوا العرب في الشرق فيقول:

"فإنه لا يحصل لهم هذا الذَّوق لقصور حظّهم في هذه الملكة التي قرّرنا أمرها لأن قُصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى إلى اللسان ، وهي لغاتهم أن يعتنوا بما يتداوله أهل المصر بينهم في المحاورة من مفرد ومركب لما يضطرون إليه بعد ذلك" (٢٥)،ويذكرنا هنا بسيبويه (٢٦) والفارسي والزمخشري (٢٧) الذين كانوا من العجم وحصلت لهم هذه الملكة في الوقت الذي كانت فيه اللغة في عنفوانها وشبابها ولم تذهب بعد آثار الملكة منها ولا من أهل الأمصار وأضافوا إلى ذلك عكوفهم على الدارسة والممارسة لهذه اللغة حتى أجادوها وتمكنوا منها فأصبحت ملكة أصيلة فيهم.

"والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية قراره الطبع وسمكه الرواية ودعائمه العلم ، وبابه الدُّربة ، وساكنه المعنى ، ولا خير في بيت غير مسكون ، وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية ، أو كالأواخي والأوتاد للأخبية ، فأما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لا ستغنى عنها"[٣٧] .

وهذا النص لابن رشيق يؤكد ما ذهب إليه ابن خلدون بل يدل على تأثر ابن خلدون برأيه فلولا المحفوظ المستعمل من كلام العرب الذى يبنى على شاكلته لما وجدنا فضيلة بين شعر وشعر أو بين قول وآخر ، وقد نقل لنا ابن رشيق رأيا مشابهاً للقاضي الجرجاني نجده في الوساطة يقول فيه الجرجاني:

"أنا أقول أيدك الله: علم من علوم العرب ، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان"[٣٨].

وهكذا يستمر الجرجاني في بيان أسباب الإجادة في الشعر إلى أن يقرر أن حاجة الشاعر المحدث إلى الرواية أمس وأنه إلى الحفظ أفقر ، ثم قرر أن طريق الرواية السمع وملاكها الحفظ[٣٩].

وهكذا بدا من خلال الرأى السابق ما أكده صاحبه من ضرورة الرواية والحفظ حتى يستطيع الشاعر أن يكون مبرزاً في شعره، وهذا كما نلاحظ هو نفس رأى ابن خلدون في القضية إلا أن الأخير اكتفى ببيان أهمية الحفظ والتمرس بالأساليب العربية ولم يؤكد أو يوضح وجود الموهبة الأصلية لدى الراغب في قول الشعر بينما لم يُغفِل ذلك كل من ابن رشيق والقاضي الجرجاني وابن الأثير الذى يصرح بذلك في قوله:

"من أحبَّ أن يكون كاتباً ، أو كان عنده طبع مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ، ولا يقنع بالقليل من ذلك .. "الخ[٤٠].

وهكذا يطالب الراغب في الكتابة بتعهد نفسه بالحفظ من شعر العرب لأنه السبيل إلى تعلم المعاني كلها فالكلام المنثور بالنسبة إلى الشعر قطرة من بحر – على

حازم نفسه من الأسلوب .

ونلتقي بفحوى تعريف الزيات للأسلوب نفسه عند الأستاذ أحمد الشايب الذي يقول : " إن تعريف الأسلوب ينصب بداهة على هذا العنصر اللفظي ، فهو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني ، أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال ، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني"(٣٠).

فتعريف الأسلوب عند الأستاذ أحمد الشايب يغاير ما ورد عنه عند كل من حازم وابن خلدون إذ أنه عندهما يرتبط بالمعاني أما عنده فهو كما عند الزيات يرتبط بالألفاظ وكذلك الحال عند الأستاذ أحمد أمين ، إذ يقول وهو بصدد الحديث عن اختلاف الناس في قدرتهم على التعبير عما في أنفسهم والطريقة التي يسلكها كل شخص لذلك التعبير:

"وفي هذا كله يختلف الناس ، فقد يكون هناك عالم قدير ولكنه ضعيف من ناحية نظم الكلام وتأليفه ،وهناك على العموم أشخاص لا تتناسب مقدرة عواطفهم أو تفكيرهم مع مقدرتهم في التعبير ، فقد يكون عند الإنسان قوة تفكير راقية أو عواطف راقية ولكنه مصاب بضعف الأسلوب وغموض التعبير أو الضعف في نظم الكلام وتأليفه ،ويتعب القارئ ، ويمل في استخراج ما يريده من معان ، أو يحاول ان يشعر بما شعر به الكاتب فلا يستطيع"(٣١).

ثم يؤكد فكرته هذه بقوله :-

"وإذا قلنا جمال اللغة أو الأسلوب ، فلابد أن تشرك في ذلك المعاني والعواطف ومطابقتها لهما لأن اللغة لا يمكن الإعجاب بجمالها مجردة عن ذلك وتعد اللغة جميلة وبالغة حد الكمال بمقدار تعبيرها عن المعاني والعواطف وأهم صفات الكتابة الجيدة شيئان متقابلان القوة والرقة"(٣٢).

وهذا يدل على أن الأستاذ أحمد أمين لم يفرق بين النظم والأسلوب بدليل ما جاء في النص السابق من استعماله للفظتين متبادلتين (٣٣). أما ابن خلدون فقد جعل

" نعم إن مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها فإذا تحصلت هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر ، لطيف في هذه القوالب التي يسمونها أساليب ،ولا يفيده إلا حفظ كلام العرب نظماً ونثراً"[٣٣].

فالأسلوب في مفهومه طريقة معينة ينتهجها الأدباء في وضع الشعر أو النثر مع مراعاة قوانين النحو والبلاغة.

مقارنة رأيه بغيره:

ونلتقي هنا بآراء أخرى في هذا الجانب:

-جانب النظم أو الأسلوب:

فالجاحظ (ت سنة ٢٥٥) يصرح أن نظم الأسلوب وتأليفه ركن أساسي في إعجازه [٣٤]. والجاحظ يلتقي مع الآمدي (ت٣٧١) في جعل مجال النظم مقياساً للشعر الجميل ، إذ اهتدى الآمدي بذوقه إلى أن حسن التأليف عند البحتري راجع إلى ما أطلق عليه (طريقة العرب) [٣٥].

ولعله يقصد بـ (طريقة العرب) هنا نفس ما قصده ابن خلدون في قوله عن الأسلوب إنه عبارة عن طريقة أو قالب مخصوص راسخ في الذهن عن طريق حفظ أشعار العرب أو نثرهم .

أما عبد القاهر الجرجاني فيرى أن النظم لا يكون إلا بتوخي معاني النحو وأحكامه وأن البلاغة تتبع المعنى وأن سوغ العبارة على نحو خاص إنما هو تابع للمعنى، وطبق ذلك على كثير من الشعر العربي ولعله ترك تطبيق ذلك على القرآن للقارئ نفسه بعد هضمه لهذه القوانين بعد أن وضع له الأساس في ذلك [٣٦].

وهذا يعني أن عبد القاهر الجرجاني قد مزج بين مفهومي النظم والأسلوب وبذلك اختلف المفهوم عنده عن المفهوم الذى علمناه عن الأسلوب لدى ابن خلدون.

ويبدو مصداق ذلك عندما نقرأ ما كتبه حازم القرطاجني عن مفهوم الأسلوب الشعري والفرق بينه وبين النظم ، يقول حازم:

ابن خلدون والأسلوب

١-تعريفه للأسلوب :

ذكر ابن خلدون مفهوما لهذه اللفظة وهو بصدد الحديث عن صناعة الشعر ووجه تعلمه، وهو في الحقيقة مفهوم يستنتجه من أهل صناعة الشعر فيقول :_

" ولنذكر هنا مدلول لفظة الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم . فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذى تنسج فيه التراكيب أو القالب الذى يفرغ فيه. ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذى هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذى هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية"[٢١].

وبعد أن أخرج هذه العلوم من صناعة الشعر بين كيف يصل الشاعر إلى هذا الأسلوب بقوله:

"وإنما ترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص . وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ، فيرصها فيه رصا ، كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافيه بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة"[٢٢].

فابن خلدون كما ترى في حديثه السابق يريد بالأسلوب في مفهوم الشعراء – الطريقة التي اعتاد عليها الشعراء في قصائدهم وهذه الطريقة تختلف من فن إلى آخر ويغذيه على ذلك ما ادخره في ذهنه من هذه الطرق المعلومة مستخدماً في ذلك اللغة الصحيحة التي يراعى فيها أحكام الإعراب وقوانين البيان.

أما عن هذه الطرق أو الأساليب فلا ينسى ابن خلدون أن يوضحها حرصا منه

ومع جودة هذا الأسلوب إلا أنه كإنه لا يصادف صدى يذكر لدى كتاب عصره ولا من جاءوا بعده مباشرة لسيطرة الخمول والجمود على الأساليب في تلك الفترة [١] إلى أن طبعت مقدّمته في مصر عام ١٢٧٤هـ ثم في بيروت وانتشرت هذه القدمة وتداولها القراء والكتاب كما قرر تدريسها في بعض معاهد العلم وصاحب ذلك تطور فكرى ولغوى وثقافي فبدأ يظهر تأثيرها في أقلام الكتاب والمؤلّفين [٢].

ويأتي الرجل بتصور دقيق للمَحْصلة الصحيحة للأسلوب، والتي تأتي من خلال" حفظ العالي في طبقته من الكلام"[٣] ومن ثم فإنه ينتقد في جراة قصور أساليب الفقهاء وأهل العلوم .

يقول :" وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم ، ويمتلئ به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجية عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة، لأن العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة، فإذا سبق ذلك المحفوظ إلى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور وانحرفت عبارته عن أساليب العرب في كلامهم"[٤] .

وربما تأثر ابن خلدون في رأيه هذا بمن كان في عصره أو قريبا منه من النقاد من أمثال حازم القرطاجني [٥] الذي ترددت عنده مقولة :

" قد تحصل بحفظ الكثير مما حسن منحاه وأسلوبه ومنزعه، وري الذكر من ذلك، وتعليل النفس به أبداً، ومطارحتها القول على نحو من ذلك، والترامي بالخاطر أبداً إلى جهات من المعارضة لذلك، دربة يوصل بها التشبه، ولا سيما إذا تفهم ما قلته في الوجوه التي بها تحسين الأساليب والمنازع، فكانت تلك الوجوه متحصلة في ذهنه، فهذه بعض منافع القول في الأساليب والمنازع"[٦].

إلا أن حازماً نفسه يستدرك القول السابق بقوله: لكن من لم يتوصل إلى التشبه إلا بالدّربة من غير أن تكون له قوة التي ذكرت فربما وقع له ما يعده ذو القوة البصير بطرق النقد متكلفاً أو فاتراً، وإن خفي ذلك على أكثر الناس"[٧] . وهذه القوة التي

أ- تعريفه للأسلوب .

ب-كيف يتم اكتساب الأسلوب العربي السليم في رأيه.

جـ-تفسير لفظة الذوق عنده وكيف تتكوّن.

وفي هذه النقطة بينا كيف قرّر أن البلاغة أصل في الأسلوب العربي ثم ربطت الدراسة بين رأيه ورأي غيره من النقاد .

د- موقفه من قضية اللفظ والمعنى.

كما تمّت مقارنة رأيه بآراء غيره من النقاد القدامى والمحدثين في هذه القضية من أمثال الجاحظ وابن قتيبة والآمدي والمرزوقي وابن سنان الخفاجي وابن رشيق والعسكري وغيرهم .

هـ- مفهوم الطبع والصنعة عنده .

وقد ذكر في هذا الجانب رأي ابن خلدون في الكلام المطبوع وتعريفه للكلام المصنوع ثم وضّح مدى اقترابه من آراء النقاد الآخرين في هذا الجانب من أمثال قدامة ابن جعفر وابن طباطبا وابن رشيق وغيرهم كما وضحت بعض الأمثلة التي استشهد بها ابن خلدون على الشعر المطبوع .

وذكر ميله للشعر الإسلامي لبلاغته العالية وأسلوبه المتأثر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

ثم كان التعقيب والتعليق العام نهاية المطاف في هذا العمل المتواضع . الذي نوقشت خلال سطوره معظم آراء الرجل السابقة .

أما الخاتمة فقد حوت خلاصة البحث التي لم تغفل نتائجه .

تتعدد جوانب العطاء الفكري عند الرحمن بن خلدون [١] (٧٣٢هـ ٨٠ هـ) فلا تقتصر على محاور بعينها، وإن كانت شهرته طبقت الآفاق في ميادين شتى من التاريخ والاجتماع والفكر إلى حد أنه عُدّ أحد المؤثرين في مسيرة الحضارة والفكر الاجتماعي على مستوى العالم كله. ولاشك أن الثقافة الموسوعية التي اكتسبها مكّنته